أثر اختلاف القراءات القرآنية على المستوى الصوتي
دراسة تطبيقية في سورة النساء

الباحث/ عمرو حمدى إبراهيم خاطر(*)

السكت على الساكن قبل الهمز:

۞ قوله تعالى :﴿وَٱلۡأَرۡحَامَ ۚ﴾ [النساء :١] السكت لحمزة من رواية خلف وخلاد .

كان يسكت على الساكن شرط ألا يكون حرف مد ، لأن ذلك بمنزلة ما كان من كلمتين ، لأن لام التعريف قد اتصلت بما بعدها والتحمت به فى الخط واللفظ والمعنى ، لدلالتها على تعريف ما دخلت عليه فصارت مع ما بعدها فى حكم الكلمة الواحدة ، فاحتاج أن يبين أنها مع هذا الالتحام بمنزلة الكلمتين المنفصلتين[١] ، فهى وهمزتها كلمة مستقلة ، نحو : (قد) ، و(هل) حرف دخل لمعنى ، فكانت لذلك آخر كلمة وإن اتصلت خطًّا ، فيحرك الساكن بحركة الهمز الذى بعده ، ثم يحذف بعد نقل حركته ، لأن بقاءه ساكنا أثقل منه متحركاً[٢] ، وهذا الحكم يشمل كل لام تعريف بعدها همزة وكان خلف عن حمزة يقف على لام المعرفة ، إذا كان بعدها همزة وقفة خفيفة ، نحو (والأرحام) [النساء:١]

(*) طالب ماجستير بقسم اللغة العربية وآدابها "الدراسات الإسلامية" – كلية البنات – جامعة عين شمس .

(١) شرح كتاب التيسير للدانى تأليف عبد الواحد بن محمد بن أبى السَّدَاد الشهير بالمالقى تحقيق الشيخ عادل عبد الموجود والشيخ على محمد معوض د/ أحمد عيسى المعصراوى ، ط الأولى ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م دار الكتب العلمية لبنان (٦٠٣) .

(٢) إبراز المعانى من حرز الأمانى فى القراءات السبع للإمام الشاطبى ت ٥٩٠ هـ ، للإمام عبد الرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم المعروف بأبى شامة الدمشقى ، تحقيق د/ إبراهيم عطوه عوض ، ط دار الكتب العلمية (١٥٥ ، ١٥٦) .

(وبالآخرة) [البقرة : ٤] وما شابه ذلك حيث وقع ، وعدم السكت للباقين .

فالسكت لإظهار أن لام المعرفة زائدة ، فوقف على لام المعرفة ليستفرغ القوة فى النطق بالهمزة مبتدئاً ، وليشعر بأن الهمزة حقها الابتداء بها ، وما قبلها زائد داخل عليها ، فكأن لام المعرفة كلمة ، وما فيه الهمزة كلمة ، وقد أتى الوقف على لام المعرفة فى أشعار العرب مع غير الهمزة ، ووجه من وصل : أنه أجرى لام المعرفة مع الهمزة كمجراها مع سائر الحروف ، لأنها متصلة بما بعدها ، ويقوى ذلك قراءة من قرأ بنقل حركة الهمزة إلى الساكن قبلها ، أى : إلى اللام ، فلولا أن اللام متصلة بما بعدها لما ألقى عليها حركة الهمزة ، ويقوى اتصال لام المعرفة بما بعدها أيضاً إدغامها فى أربعة عشر حرفاً مما تدخل عليه ، فلو كانت منفصلة ما جاز إدغامها ثم قال : والوصل أخف وهو المختار[١] وأداة التعريف (أل) لها ثلاثة مذاهب :

١ – (أل) كلها للتعريف ، والألف أصل .

٢– المعرف (أل) والألف زائدة .

٣– اللام وحدها[٢]

قال ابن عقيل : المعَـرّف عند الخليل : (أل) كلها ، والألف أصلية ، وعند سيبويه : اللام وحدها والألف زائدة ليتوصل بها لنطق الساكن[٣] .

---

[١] الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها لأبى محمد بن أبى طالب ط مؤسسة الرسالة (١ / ٢٣٣)

[٢] قطر الندى وبل الصدى لابن هشام ، تحقيق د/ محمد محى الدين عبد الحميد منشورات المكتبة العصرية بيروت ١٩٨٤ مـ (١١٢) .

[٣] شرح ألفية ابن مالك لابن عقيل ، تحقيق محمد محى الدين عبد الحميد ، مكتبة دار التراث (١ / ١٧٧ ، ١٧٨) وانظر شرح الكافية الشافية لابن مالك تحقيق – د/ عبد المنعم أحمد هريدى ط الأولى ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ مـ دار المأمون للتراث ط (١٦٤) .

ويبدو من خلال الدراسة والبحث أن من قرأ بالسكت على لام (الأرحام) يريد أن يبين أنها منفصلة مستقلة ، وكذلك بعد دخولها عليها ، وأما قراءة عدم السكت ، أى : (أنه وصل) فقد أجرى لام المعرفة مع الهمزة كمجراها مع سائر الحروف ، لأنها متصلة بما بعدها ، ويقوى ، ذلك الوجه إدغام لام المعرفة في أربعة عشر حرفاً مما تدخل عليه ، فلو كانت منفصلة ما جاز إدغامها[1] .

ويبدو من العرض السابق أن من قرأ بعدم السكت أراد موافقة الرسم ، وأنه كذلك لم يرد أن يشير إلى أن (أل) أداة تعريف مستقلة قبل دخولها على الاسم ، والله أعلم .

وورد عن ورش قراءة (الأرحام) بنقل حركة الهمزة إلى الساكن الصحيح قبلها وذلك بغرض التخفيف لأن النقل أخف من بقاء الهمزة على حاله؛ وذلك لثقل الهمزة وبعد مخرجها وصعوبة اللفظ بها ، ولما كثرت الهمزة فى الكلام وأمكن نقل حركتها على ما قبلها فتقوم حركتها مقامها وتذهب صعوبة لفظها آثر ذلك ورش مع روايته ذلك على أئمته فهو إذا ألقى حركة الهمزة على ما قبلها لم يخل بالكلام وخفف الثقل الذى فى الهمزة فآثر ذلك لذلك ؛ وتحذف الهمزة بعد نقل حركتها إلى ما قبلها لأن بقاءها ساكنة ثقيل ، خاصةً إذا كان بعدها ساكن فيجتمع ساكنان مثل : (الأرحام)_(الأرض)_(قد أفلح) وأما عدم النقل فعلى الأصل[2] .

---

(1) د.محمد مسعود عيسى فى أثر القراءات القرآنية فى الفهم اللغوى ٦٢ طـ دار السلام

(2) طلائع البشر فى توجيه القراءات العشر الشيخ محمد الصادق قمحاوى " طـ الأولى ٢٠٠٦ م_ ١٤٢٧هـ دار العقيدة (١٠)

المـــد:

۞ قوله تعالى : ﴿ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾[النساء : ٨٧]

قرأ همزة بخلف عند بمد " لا " مداً متوسطا لقصد المبالغة فى النفى ، وقرأ الباقون بالقصر على أنها لمجرد النفى[١] .

والمبالغة فى المد معروفة عند العرب ، فيجعلون الألف لمد الصوت فى الاستغاثة أو المتعجب منه أو المندوب كقوله :

يا عجبا لهذه الفليقهْ هل تُذهبن القوباء الريقهْ

وقوله :

يايزيداً الامل نيلَ عزٍّ وغنًى بعد فاقةٍ وهوان[٢]

قال النويرى : ولهذا كان الصحيح مد الذاكر قوله "لا إله إلا الله" ، وروى عن ابن عمر "من قال لا اله الا الله ومد بها صوته أسكنه الله دار الجلال" وهو وإن ضُعَّف يعمل به فى فضائل الأعمال ، ومن هذا أيضاً مد حمزة فى (لا) التى للتبرئة[٣]

ويفهم مما سبق أن من مد فى " لا " أراد التأكيد والمبالغة فى النفى ، فيوم القيامة واقع لا محالة ، ومن قرأ بالقصر فقد قصد مجرد النفى فقط .

---

[١] النشر لابن الجزرى (١ / ٢٦٩) – الإتحاف للشيخ أحمد بن محمد البنا (١/ ٣٧١ ، ٣٧٢) . المهذب د/ محمد سالم محيسن (٤٦) . معجم القراءات د/عبد اللطيف الخطيب (٢ / ٢١٢) .

[٢] مغنى اللبيب لابن هشام (٢ / ٤٢٧ ، ٤٢٨) .

[٣] شرح الطيبة للنويرى (٢ / ١٧٤) . أثر القراءات القرآنية فى الفهم اللغوى د/ محمد مسعود عيسى (٧٢ ، ٧٣) .

الوقف بالهاء على تاء التأنيث :

۞ قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ﴾ [النساء : ١١٤] .

وقف الكسائى وخلف على مرضات بالهاء " مرضاه " والباقون بالتاء[١]

قال أبو على الفارسى : يجوز أن يكون الوقف بالتاء على تقدير المضاف إليه ، فأثبت التاء كما يثبتها فى الوصل ، ليعلم أن المضاف إليه مراد ، كما حرك من قال : (إذا جَدَّ النُّقُرْ) بالضم ليعلم أنه فى الوصل مضموم[٢] .

وقال مكى : من وقف بالتاء فعلى نية الوصل ، فكأن التاء متوسطة بين المضاف إليه ، وأما من وقف بالهاء فعلى نية الوقف ، وأن الوقف بالهاء كذلك إشارة إلى أنها تاء زائدة للتأنيث وذلك لأن التاء الأصلية التي لا تدل على تأنيث لا يوقف عليها إلا بالتاء[٣] .

وقال ابن خالويه : حجة من وقف بالتاء أنها أصل علامة التأنيث ، الهاء تصير فى الدرج تاء ، والتاء لا تصير هاءً وقفاً ولا درجاً ، ومن وقف بالهاء أراد أن يفرق بين التاء الأصلية مثل التى فى (بيت) وبين الزائدة

---

[١] أبو شامة فى إبراز المعانى (٢٧٥) ، الشيخ أحمد بن محمد البنا فى الإتحاف (١ / ٣٣٤) ، د/ محمد سالم محيسن فى المهذب فى القراءات (٩٠) .
[٢] الفارسى (١ / ٤٢٦). مكى فى الكشف(١ / ٢٨٨) ابن الجزرى فى النشر (٢ / ٩٩)
[٣] مكى فى الكشف (١ / ٢٨٨)

لمعنى ، وللتفرقة بين التاء المتصلة بالاسم مثل (نعمة) وبين التاء المتصلة بالفعل مثل (قامت)[١] .

وقيل الوقف بالتاء لغة للعرب ، ومن وقف بالهاء أراد أن يفرق بين التاء المتصلة بالاسم كنغمة ، والمتصلة بالفعل مثل : قامت[٢] .

والوقف بالتاء يجوز أن يكون على قول من وقف على الخريطة طلحة وحمزة بالتاء إجراءً للوقف مجرى الوصل ، قال الشاعر :

دارٌ لسلمى بعد حولٍ قد عفتْ بل جَوزٍ تيهاء كظهر الجحفتْ

ويجوز أن يكون على تقدير الإضافة كأنه نوى تقدير المضاف إليه ، فأراد أن يعلم أن الكلمة مضافة وأن المضاف إليه مراد ، كإشمام من أشم الحرف المضموم فى الوقف ليُعلم أن الضمة مرادة[٣] .

وقال ابن هشام إذا وقف على تاء التأنيث فى الأسماء ، وكان قبلها حركة نحو: (تمرة) أو ساكن معتل نحو (صلاة) جاز إبقاؤها كما هى تاء ، وجاز ابدالها[٤] ، واعلم أن تاء التأنيث فى الاسم المفرد تقلب هاءً فى الوقف نحو : غرفة مظلمة ، ومن العرب من يقف عليها تاء[٥].

---

(١) ابن خالويه فى الحجة فى القراءات السبع ، تحقيق وشرح د/ عبد العال مسالم مكرم . ط دار الشروق (٧١ / ٧٢) .

(٢) ابن زنجلة فى حجة القراءات ، ت سعيد الافغانى ، ط مؤسسة الرسالة (١٣٠) وانظر شرح الرضى فى الكافية(٤ / ٤٨) وراجع كلام الصبان فى حاشيته (٤ / ٣٠٠) ط دار الكتب العلمية .

(٣) الفارسى فى الحجة (١ / ٤٢٥) ، ابن عطية فى المحرر الوجيز (٢ / ١٤٢) ، ابن أبى مريم فى الموضح فى توجيه القراءات(١٠٦) ، البحر المحيط لأبي حيان (٢ / ١١٩) ، الدر المصون للسمين الحلبي (١ / ٥٠٩).

(٤) ابن هشام فى أوضح المسالك على ألفيه ابن مالك (٣٤٧/٤)

(٥) ابن السراج فى الأصول فى النحو ، ط مؤسسة الرسالة(٢٧٥/٣) ، ابن جنى سر صناعة الإعراب لابن جني ، تحقيق أحمد فريد المكتبة التوفيقية (١٤٩/١)

وقال ابن جنى : الهاء فى (قائمه) بدلاً عندنا من التاء فى (قائمة) ، فهى إما تكون هاءً فى الوقف دون الوصل وقد جرت الأشياء فى الوصل على حقائقها دون الوقف[١] وإن كانت ما فيه تاء تأنيث اسماً مفرداً ، وما قبلها ساكناً صحيحاً وقف عليه بالتاء ، نحو : (بنت) و(أخت)، وإن كان غير ذلك وقف عليه بالهاء ، نحو :(فاطمه) (حمزه)، وقلّ الوقف على المفرد بالتاء نحو : (فاطمت)[٢] وقيل : المرسومة بالهاء لا خلاف فى كونها (هاءً) فى الوقف (تاءً) فى الوصل ، قال سيبويه وابن كيسان : التاء هى الأصل لجريان الإعراب عليها ولثبوتها فى الوصل الذى هو الأصل وإنما أبدلت هاءً فى الوقف للفرق بينها وبين الزائدة لغير تأنيث ، نحو(ملكوت) و(عفريت) ، وقال ابن كيسان: فرقا بين الاسمية والفعلية ، وقال ثعلب : الهاء فى الأصل لإضافتها إليها ورسمها غالبا ، وأبدلت تاءً فى الوصل ،وعلى هذا فالمواضع المرسومة بالهاء على الأصل وبالتاء باعتبار الوصل ، والوقف على (مرضات) بالتاء لئلا يشبه لفظ (مرضى) المضاف الى الهاء[٣].

قال ابن جنى : أن الوصل تجرى فيه الكلمة على أصلها ، والوقف من مواضع التغيير[٤] .

وقال ابن هشام : الأفصح الوقف على تاء التأنيث المتحركة بالهاء ، وذلك إذا لم تكن الكلمة جمعاً بالألف والتاء ، تقول :(هذه رحمة) وبعضهم

---

(١) ابن جنى فى الخصائص ، ت محمد علي النجار طـ المكتبة العلمية (٣٣١/٢)
(٢) الخضرى فى حاشيته (١٧٧/٢) . شرح الكافية الشافية (١٩٩٥/٤)
(٣) الرضى الاستراباذى فى شرح الشافية ، ت محمد نور الحسن،محمد الزفزاف،محمد محى الدين عبد العزيز، طـ دار المكتبة العلمية(٢٨٨/٢) ، الإمام النويرى فى شرح طيبة النشر ،تحقيق عبدالفتاح السيد سليمان أبو سنة ، طـ الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية (٢٢٢/٣).
(٤) المنصف لابن جنى ، ت ابراهيم مصطفى ،عبدالله الأمين،إدارة الثقافة العامه إحياء التراث القديم (١٦١/١).

يقف بالتاء وسمع بعضهم يقول يا أهل سورة البقرة ! فقال بعض من سمعهم والله ما أحفظ منها آيت ، وقال الشاعر :

كأن نفوس القوم عند الغلصمت وكادت الحرة أن تدعى أمت[1] وقلّ

هذا الإبدال المنسوب إلى تاء التأنيث فى جمع التصحيح كقول بعض العرب :(دفن البناه من المكرماه)[2] يريدون (البنات ، المكرمات).

وقوله تعالى " مرضات الله " [النساء : ١١٤] بمعنى رضا الله ، ويبدو من خلال ما سبق عرضه أنه من وقف بالتاء فهو على نية الوصل ، أى على تقدير الإضافة ، ويقويه التفسير بأن معناه رضا الله ، أيضاً لأن التاء هى الأصل ، وأما من وقف بالهاء أراد أن يبين أنها زائدة للتأنيث ، وكذلك للتفرقة بين التاء المتصلة بالاسم مثل (نعمة) ، وبين التاء المتصلة بالفعل ، مثل : (قامت) أى أراد أن يبين أنها اسم وليست فعلا[3]

الإدغام:

۞ قوله تعالى :﴿ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ ﴾: [النساء : ٨١]

قرأ أبوعمرو وحمزة بإدغام التاء في الطاء ، وقرأ الباقون بإظهار التاء وفتحها[4]

وقراءة الإدغام فيها سكون التاء من (بيت) ثم إدغامها في الطاء[5] .

---

(١) ابن هشام فى شذور الذهب ، تحقيق د.محمد ياسر شرف طـ مكتبة لبنان (٢٢٣)، وله كذلك فى قطر الندى، ت محمد محى الدين طـ المكتبة العصرية (٣٢٥)

(٢) شرح الكافية الشافية لابن مالك ، تحقيق د/ عبد المنعم أحمد هريدى طـ الأولى ١٤٠٢هـ _١٩٨٢م دار المأمون (١٩٩٥/٤)

(٣) أثر القراءات القرآنية فى الفهم اللغوى د / محمد مسعود عيسى .

(٤) الطبري [١١٣/٥] . المحرر لابن عطية [١٤٥/٤] . معجم القراءات د/ عبد اللطيف الخطيب [٢٧٩/١] .

(٥) زاد المسير لابن الجوزي [١٤١/٢]. أثر القراءات في الأصوات والنحو العربي (أبو عمرو بن العلاء) د / عبد الصبور شاهين . مكتبة الخانجي بالقاهرة ، ط " الأولى " ١٤٠٨ – ١٩٨٧ (٣٣٨) .

قال أبو علي : وجه الإدغام أن الطاء والتاء والدال من حيز واحد ، فالتقارب الذي بينهما يجريهما مجرى المثلين في الإدغام . ومما يُحسن الإدغام أن الطاء تزيد على التاء بالإطباق ، فحسن إدغام الإنقاص صوت من الحروف في الأزيد ، بحسب قَبح إدغام الأزيد في الأنقص ، ألا ترى أن الضاد لا تُدغم في مقاربها ، بينما يدغم مقاربها فيها وكذلك الصاد والسين والذال لا تُدغم في مقاربها ، قال الفراء :"جزمها حمزة لكثرة الحركات فلما سكنت التاء أدغمت في الطاء.

أما قراءة إظهار التاء فبسبب انفصال الحرفين واختلاف المخرجين .[1] ، فالتاء لما كانت متحركة منفصلة ،لأنها لام الفعل ، مفتوحة في الفعل الماضي ، وليست بتاء تأنيث قويت بالحركة ، فبَعُدَ الإدغام فيها ، لأنك تحتاج ، إذا أدغمت ، أن تسكن التاء ثم تدغمها ، فتغيرها مرة بعد مرة ، وذلك تغير بعد تغير ، بخلاف قوله تعالى ﴿ وقالت طائفة ﴾ [آل عمران : ٧٢] التي الإدغام فيها عليه العمل ، والإظهار بعيد لسكونها ، ولذلك فتح التاء من أظهر ، لأنه فعل ماض آخره مبني على الفتح ، يقول مكي : والإظهار أحب لأنه الأصل وعليه الجماعة[2] .

قال في البيان : قراءة الإدغام فيها سكون التاء وأصلها (بيتت) بتاءين ، تاء التأنيث وتاء التي هي لام الكلمة فحذفت التاء التي هي لام الكلمة كراهيةً لاجتماع المثلين ثم أدغم المتقاربين وقراءة إظهار التاء على أن التاء لام الكلمة ولم يأت بعلاقة التأنيث ، وذكر الفعل لتقدمه وأن تأنيث الفاعل

(1) الحجة للقراء السبعة [١٧٣/٣] . معاني القرآن للقراء [٢٧٩/١] .
(2) الكشف عن وجوه القراءات مكي بن أبي طالب [٣٩٣/١] .

غير حقيقي[1] ، وهذا هو الأصل[2] ، فالأصل أن تفتح التاء ؛ لأنه فعل ماض ولم تلحقه تاء التأنيث على أن تأنيث الفاعل "طائفة" مجازي.

***حاصل ما سبق دراسته في هذا الموطن :**

أنه من أراد الإدغام فأصل الفعل عنده (بيتت) بتاءين تاء التأنيث ، وتاء هي لام الكلمة فحذفت لام الكلمة ثم أدغم المتقاربين التاء والطاء .

ومن أظهر، فعلى أن التاء لام الكلمة وليس فيها تاء تأنيث والفعل بيت مذكر ولا إشكال لأن الفاعل مؤنث مجازي .

وبيت معناه : قالوا وقدروا ليلاً غير ما أعطوا نهاراً ، والعرب تقول هذا أمر قد قُدر بليل ومنه قول الحارث بن حلزة :

أجمعوا أمرهم عشاء فلما أصبحوا أصبحوا لهم ضوضاء

وقال بعضهم بيت بمعنى بدل ومنه :

وبيّت قولي عند المليك قاتلك الله عبداً كفورا [3]

وقال بعضهم: من أدغم التاء فى الطاء فلقرب مخرج التاء من الطاء ، ومن أظهر فلأنهما من كلمتين ، والإظهار أتم وأشيع [4]

۞ قوله تعالى : ﴿ فَإِنْ لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ ﴾ [النساء : ١١]

---

(1) البيان في غريب إعراب القرآن لابن الأباري [٢٦٢/١] .

(2) إعراب القراءات الشاذة للعكبري [٣٩٨/١] . معاني القرآن للقراء [٢٧٩/١] .

(3) زاد المسير لابن الجوزي [١٤٢/٢] .

(4) معانى القراءات لأبى منصور الأزهرى ، تحقيق د/ عيد مصطفى درويش، د/عوض بن حمد القوزى طـ الأولى ١٤١٢هـ_ ١٩٩١م (٣١٣/١)

قرأ حمزة والكسائي والأعمش وعلي " فلأمه ــ فلأمه " بكسر الهمزة إذا وصلا ، وقرأ الباقون بالضمة " فلأُمه ــ فلأُمه"[١] .

وحجة من قرأ بكسر الهمزة فهو لمناسبة الكسرة أو الياء التي قبل الهمزة وهو هنا حرف اللام المكسور ، فكسرت الهمزة إتباعاً لما قبلها ، ولاستثقالهم الخروج من كسر أو شبهه إلى ضم ، ولذلك إذا إبتدآ بالهمزة ضماها لزوال الكسر أو الياء ؛ وقد حكى سيبويه كسر الهمزة بعد الياء أو الكسرة لغةَ عن العرب[٢] .

فوجه حمزة والكسائي أن الهمزة حرف مستقل بدلالة تخفيفهم لها فإتباعها ما قبلها من الياء والكسرة ، ليكون العمل فيها من وجه واحد ، ويقوي ذلك أنها تقارب الهاء ، وقد فعل ذلك بالهاء في "عليهم وبهم " فقد أتبعوا حركته حركة ما قبلها ، وأصلها الضم ، والإتباع فى كلام العرب مستعمل كثير ، كما قالوا[٣] :

(منحدُرٌ من الجبل) فقد جعلوا الدال مضمومة وغيروا البناء للإتباع[٤] ، إذن الهمزة لما يتعاورها من القلب والتخفيف والبدل والحذف ونقل الحركة فعلوا فيها ذلك وتشبه الياء والواو والهاء ، فتُغَيَّر كما تُغَيَّر ، والسبب فى الهمزة دون سائر الحروف أنها كثُر استعمالها فى كلامهم ،

---

[١] معجم القراءات د/ عبد اللطيف الخطيب (٢ / ٢٧) . الحجة لأبى على الفارسى (٣ / ١٣٧) . النشر فى القراءات العشر (١ / ٤٣٨) . التذكرة فى القراءات الشيخ أبو الحسن طاهر بن غلبون تحقيق د/ سعيد زعيمة . دار الكتب العلمية ، ط "الأولى" ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ مـ .

[٢] الدر المصور للسمين الحلبى (٣ / ٦٠١) . البحر المحيط لأبى حيان الأندلسى (٣ / ١٩٣). البيان فى غريب إعراب القرآن لأبى البركات بن الأنبارى ، تحقيق د/ طه عبد الحميد طه ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠ مـ (١ / ٢٤٤) .

[٣] الكشف عن وجوه القراءات لمكى بن أبى طالب (١ / ٣٧٩) . حجة القراءات لابن زنجلة (١٩٢) . زاد المسير (٢ / ٢٧) .

[٤] الحجة لأبى على الفارسى (٣ / ١٣٨) .

والتغير إلى ماكثر استعماله أسرع ، وقد يختص الشئ فى الموضع بما لا يكون فى أمثاله ، كقولهم : اسطاع ، وأهراق ، ولم يُفعل ذلك فيها أشبهه[١] .

قال ابن الأنبارى : من كسرها فعلى الاتباع كقولهم : المِغيرة فى المُغيرة ومِنْحر فى مُنْحر ، ومن ضمها فعلى الأصل[٢] .

وحجة من ضم الهمزة - وهم الجمهور - أنه أتى به على الأصل ، فلم يحدث تغيراً فى الهمزة ، لأنها ليست خفيفة كالهاء فى " عليهم و بهم " وكذلك أنه لا يلزم فى كل مضمومة قبلها ياء أو كسرة ، فجرت اللام على ما جرى عليه سائر الكلام ، من ترك الهمزة على أصلها ، وهو الضم ، ألا ترى أنهم يقولون : يا هؤلاء أُفٌّ لكم ، وفى أُناس ، ونحوه ، فلا يجوز تغير ضمة الهمزة ، وكذلك همزة " أم " وهو الاختيار ، لأنه الأصل ، ولاتفاق كل القراء على الضم فى الابتداء بمن فيهم حمزة والكسائي[٣] .

ويبدو من خلال الدراسة والبحث في هذا الموطن : أن من قرأ بكسر الهمزة ، أراد أن يبين مدى ثقلها وأنها أثقل الحروف فأراد التخفيف فأتبعها لما قبلها ، وكذلك للتخفيف بالاتباع حيث يصعب الخروج من الكسر فى اللام إلى الضم فى الهمزة ، كذلك ليشيروا بذلك إلى تقارب الهمزة من الهاء .

أما من قرأ بالضم فعلى الأصل وهو الراجح ، والله أعلم .

---

(١) الكشفّ لمكى بن أبى طالب (١ / ٣٧٩ ، ٣٨٠) . الحجة لأبى على الفارسى (٣ / ١٣٨) .
(٢) البيان فى غريب إعراب القرآن لأبن الأنبارى (١ / ٢٤٤) . إعراب القراءات الشواذ لأبى البقاء العكبرى ، تحقيق محمد السيد عزوز ، عالم الكتب ط " الأولى " ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ مـ (١ / ٣٧٣) .
(٣) شرح الهداية للإمام أبى العباس أحمد المهدوى ، تحقيق د/ حازم سعيد حسين ، مكتبة الرشيد (١ / ٢٤٥ ، ٢٤٦) .

۞ قوله تعالى :﴿ وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ ٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ أَوِ ٱخْرُجُواْ مِن دِيَٰرِكُم ﴾[النساء : ٦٦] قرأ ابن عامر وابن كثير ونافع والكسائى بضم النون والواو .

وقرأ عاصم وحمزة بالكسرفي كليهما . وقرأ أبو عمرو بالكسر في الأولى والضم فى الثانية[١] .

والحجةّ لمن قرأ بضم النون ، أن النون هنا مكان الهمزة (همزة الوصل) التى ضُمت لضم الحرف الثالث ، فجعلت بمنزلتها ، برغم أنها منفصلة عنها ، فقد أجروا المنفصل مجرى المتصل وهو كثير .

ووجه من كسر النون ، أن هذه الحروف وأشباهها منفصلة فى الفعل المضموم الثالث ، والهمزة هى المتصلة بها ، فلم يجروا المنفصل مجرى المتصل ، وما أجروه من المنفصل فى كلامهم مجرى المتصل أكثر من أن يُقتصَ .هذا عن الكسر وضم النون في "أن اقتلوا" .

وعن ضم الواو فى (أو اخرجوا) وهى قراءة ابن عامر وابن كثير ونافع والكسائى ووافقهم أبو عمرو ، فلأن الضم فى الواو أحسن لأنها تشبه واو الضمير ، والجمهور فى واو الضمير على الضم ، نحو "ولا تنسوا الفضل بينكم" [البقرة : ٢٣٧][٢] .

---

[١] البحر المحيط لأبى حيان الاندلسى (٣ / ٢٩٧) . النشر (٢ / ٢٢٥) – إعراب القراءات السبع وعللها لابن خالويه (١ / ١٣٤) .

[٢] الحجة للقراء السبعة لأبى على الفارسى (٣ / ١٦٧) . وانظر معاني الحروف للرماني ، تحقيق د/ عبد الفتاح إسماعيل شلبي ، دار الشروق للنشر ، ط الثانية ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م (٥٩) .

قال الحلبى : من قرأ بالكسر فعلى أصل التقاء الساكنين ، والضم للإتباع للثالث ، إذ هو مضموم ضمة لازمة ، وإنما فرق أبو عمرو لأن الواو أخت الضمة[١] .

وليس هذا التباين فى هذه الكلمة فقط ، بل إذا التقى ساكنان من كلمتين ، وضُم الثالث ضمًا لازمًا نحو :

"فمن اضطر" ، "قل أدعوا" ، إلا أن ابا عمرو قد خرج عن أصله فى "أو" فضمها[٢] .

قال ابن خالويه : الحجة لمن كسر : التقاء الساكنين ، والحجة لمن ضم أنه أتبع الضمّ الضمّ ، ليأتى باللفظ من موضع واحد[٣] .

قال أبو حيان : وضَمَّ الواو من "أو" أبو عمرو ، وكسرهما "حمزة وعاصم" وضمهما باقى السبعة

و"أن" هنا يحتمل أن تكون تفسيرية" ، وأن تكون مصدرية على ما قرروا من أنها توصل بفعل الأمر[٤] .

۞ قوله تعالى : ﴿ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾

[النساء : ٦٨]

قرأ قنبل ورويس ويعقوب وابن كثير فى كل القرآن من رواية القوّاس[١] ، وروى الأصمعى عن أبى عمرو أنه قرأ " زراط " بالزاى

---

[١] الدر المصون للسمين الحلبى (٤ / ٢١) .
[٢] الدر المصون للسمين الحلبى (٤ / ٢١) .
[٣] الحجة فى القراءات السبع لابن خالويه (٩٢ ، ١٢٤) .
[٤] البحر المحيط (٣ / ٢٩٧) .

خالصةً ، وروى عربان عن أبى سفيان عن أبى عمرو : أنه كان يقرأ بالصاد والزاى[٢] .

وقرأ الباقون بالصاد " صراط " وحمزة يشّمن الصاد فيلفظ بها بين الصاد والزاى[٣] وقيل : قرأ قنبل

(الصراط) بالصاد والسين ، وخلف عن حمزة بالصاد المشمة صوت الزاى ، والباقون بالصاد الخالصة[٤] .

وقيل : قرأ خلف (الصراط) حيث وقع في القرآن منكّرًا أو معرّفاً بالصاد الخالصة ، وقرأ رويس بالسين حيث وقع في القرآن ، وقرأ أبو جعفر وروح بالصاد كخلف ، فمن قرأ بالسين فعلى الأصل ، لأنه من السّراط وهو الابتلاع لأنه يبلع سالكه ، ولموافقة الرسم تقديرًا ، ومن قرأ بالصاد فذلك لاتّباع الرسم تحقيقا ، والكل لغات ، والصاد لغة أهل الحجاز وعليها أكثر العرب[٥] .

قال أبو جعفر : أجمعت الأمة من أهل التأويل جميعًا على أن (الصراط المستقيم) هو الطريق الذى لا اعوجاج فيه ، وذلك فى لغة جميع العرب ، فمن ذلك قول جرير بن عطية :

أمير المؤمنين على صراطٍ إذا اعوجّ الموارد مستقيم

---

[١] البحر المحيط لأبي حيان (١ / ٢٥) . ابن مجاهد فى السبعة (١٠٦) . حجة القراءات لابن زنجلة (٨٠) وقال ابن زنجلة : وروى أن ابن عباس كان يقرؤها بالسين .
[٢] ابن مجاهد فى السبعة (١٠٦) الاتحاف للشيخ أحمد البنا (١ / ٥١٨) .
[٣] حجة القراءات لابن زنجلة (٨٠) – ابن مجاهد فى السبعة (١٠٧) .
[٤] إبراز المعانى لأبى شامة (٧١) . النشر لابن الجزرى (١ / ٢١٣) – د / محيسن فى المهذب (٧٥) – الاتحاف للشيخ أحمد البنا (١ / ٣٦٥ – ٤٢١) وزاد : وابن محيص وافق قنبل ورويسًا فى القراءة بالسين .
[٥] الإيضاح على متن الدرة لعفيف الدين الزبيدى (١٠٨ – ١٠٩) .

يريد على الطريق الحق . والصراط : معناه : الطريق[1] وأصله بالسين من السَّرط ، وهو اللقم ، ولذلك يسمى لقمًا كأن سالكه يبتلعه ، أو هو يبتلع سالكه ، ومنه قولهم : (أكلته المفازة) إذا نهكته لسيره فيها ، و(أكل المفازة) إذا قطعها بسهولة[2] .

قال البغوى : من قرأ بالسين فهو الأصل ، والاختيار الصاد عند أكثر القراء لموافقة المصحف ، وأصله فى اللغة : طريق[3] وقيل : "السّراط" بالسين هو الأصل ، لأنه سَرَطَ الشئ إذا بلعه ، وسمى الطريق سراطًا لجريان الناس فيه كجريان الشئ المبتلع[4] .

وقال ابن أبى مريم : من قرأ بالسين فلأنه الأصل ، فهى من سَرِطتُ الشئ إذا بلعته ، لأن السراط يسترط المارة ، وفى هذا اللفظ بعض من الثقل عن الطبع إذ فى السين تَسَفُّل وفى الطاء استعلاء ، ففيه تصعُّد بعد تسفُّل[5]

وقيل : قراءة (السّراط) بالسين هى لغة عامة العرب ، وهى الأصل ، والعرب ترد الأضعف إلى الأقوى ، والقراءة بالصاد الخالصة هى لغة قريش ، فوجه (السراط) بالسين أنه الأصل وهو البلع ، ووجه القراءة بالصاد موافقة لخط المصحف[6] .

---

(1) تفسير الطبرى (١ / ١٢٧) – روح المعانى للألوسى (١ / ١٠٣) – الإيضاح على متن الدرة للزبيدى (١٠٨ – ١٠٩) .
(2) روح المعانى للألوسى (١ / ١٥٣) .
(3) معالم التنزيل تفسير الإمام البغوى (١ / ١٤ ، ١٥).
(4) التبيان للعكبرى (١ / ٨) .
(5) الموضح لابن أبى مريم (١٤) .
(6) القراءات وأثرها فى علوم العربية د/ محيسن (١/١٠١،١٠٠) .

وفى اللسان : سرط الطعام والشيء: بلعه ، والصاد لغة ، وفى المثل: (لا تكن حلواً فتسترط ولا مُرّاً فتعفى) والسراط لغة فى الصراط[1] وقيل السراط : الطريق الواضح[2] ، وقيل الصراط والسراط والزراط : الطريق قال الشاعر:

أكر على الحروريين مُهرى وأحملهم على وَضَحِ الصِّراط[3]

وعلى هذا فالقراءة بالسين أو بالصاد إنما هما لغتان والمعنى واحد وهو الطريق ، والقراءة بالسين على أصل الكلمة ووافقت تقديرا رسم المصحف ، وهي لغة عامة العرب.

والقراءة بالصاد تكون موافقة حقيقةً لرسم المصحف، وهى أقرب للتعرف على المعنى بسهولة لاشتهارها بالصاد أكثر منها بالسين، كما أن القراءة بالصاد أيسر على اللسان من السين ، حيث إن إيلاء الطاء لحرف مطبق أيسر من إيلاءها لحرف مستفل[4] .

۞ قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ .... كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓاْ ﴾ [النساء : ٩٤]

(1) ابن منظور فى لسان العرب (سرط) ، الصحاح للجوهرى (سرط) .
(2) المجمع اللغوى فى المعجم الوسيط (سرط) .
(3) الصحاح للجوهرى (سراط) .
(4) أثر القراءات فى الفهم اللغوى د. محمد مسعود عيسى (٩١) .

قرأ حمزة والكسائى وخلف والحسن "فتثبتوا" بالثاء فى الموضعين ، من التثبت ، وقرأ الباقون بالياء (فتبينوا) من البيان[١] .

وحجة من قرأ بالثاء ، أنه لما كان معنى الآية الحض للمؤمنين على التأنى ، وترك الإقدام على القتل ، دون تثبت ، أتى بالتثبت ، لأنه خلاف الإقدام[٢] ، ومناسبة هذا السياق موافقته لما قبله وهو أنه – تعالى – لما ذكر جزاء من قتل مؤمنًا متعمدًا ،و أنه جهنم ، أمر المؤمنين ألا يقدم الانسان على قتل من أظهر الإيمان ، وأن لايسفكوا دماً حرامًا بتأويلٍ ضعيف ، والتثبيت أفسح للمأمور من التبين لأن كل من أراد أن يتثبت قدر على ذلك ، وليس كل من أراد أن يتبين قدر على ذلك ، لأنه قد يتبين ، ولايتبين له ما أراد بيانه[٣] .

والتثبت خلاف الإقدام والمراد التأنى ، والتثبت أشد اختصاصًا بهذا الموضوع . ومما يبين ذلك قوله – تعالى – "وأشد تثبيتًا" [النساء : ٦٦] أى : أشد وقفــًا لهم عما وعظوا بأن لا يقدموا عليه[٤] .

فالمراد من (تثبتوا) أي : تأنوا ، ولا تُقدِموا وقفوا حتى يتضح الحال ، أعم من أن يكون منشأ ذلك الاتضاح الاستطلاع وبذل الجهد والتعرف[٥] .

وحجة من قرأ (فتبينوا) :

---

(١) البحر المحيط لأبى حيان الأندلسى (٣ / ٣٤١) . حجة القرات لابن زنجلة ،ط مؤسسة الرسالة (٢٠٩) . معجم القراءات القرآنية د/ عبد اللطيف الخطيب (٢ / ١٣١) . اتحاف فضلاء البشر للشيخ أحمد البنا (١ / ٥١٨) .

(٢) الكشف عن وجوه القراءات لمكى بن أبى طالب (١ / ٣٩٤) . الحجة للقراء السبعة لأبى على الفارسى (٣ / ١٧٤).

(٣) الكشف عن وجوه القراءات لمكى بن أبى طالب (١ / ٣٩٤) . الحجة للقراء السبعة لأبى على الفارسى(٣ / ١٧٤) .

(٤) الحجة للقراء السبعة لأبى على الفارسى (٣ / ١٧٤) . فتح القدير للشوكانى (١ / ٧٩٦) .

(٥) القراءات وأثرها فى التفسير والأحكام لمحمد بن عمر بازمول ، دار الهجرة للنشر والتوزيع ، ط "الأولى " ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ مـ - (٢ / ٦٥) . وانظر حجة القراءات لابن زنجلة (٢٠٩) .

من البيان ، فلما كان معنى الآية : افحصوا من أمر من لقيتموه ، واكشفوا عن حاله قبل أن تبطشوا بقتله ، حتى تتبين لكم حقيقة ما هو عليه من الدين حمل على التبين ، لأنه به يظهر الأمر ، وأيضا فإن التبين يعم التثبت ؛ لأن كل من يتبين أمرا فليس يتبينه إلا بعد تثبت ، سواء ظهر ذلك الأمر أم لم يظهر ، ففي التبين إذن معنى التثبت ، فكل من تبين ، وليس كل من تثبت تبين[1] .

فمن قرأ (تبينوا) حجته : أن التبين ليس وراءه شئ ، وقد يكون تبينت أشد من تثبت ، وقد جاء أن التبين من الله ، والعجلة من الشيطان ، فمقابلة التبيين بالعجلة دلالة على تقارب التثبت والتبين ، قال الأعشى :

كما راشدٍ تَجدَن امرأً تبين ثم ارعوى أو قَدِم

فاستعمل التبين فى الموضع الذى يقف فيه ناظراً فى الشئ حتى يقدم عليه أو يرتدع عنه ، فالتبين على هذا أولى من التثبت ، وقال الشاعر فى موضع الزجر والنهى والتوقف :

أَزَيْدَ مناةَ توعِدُ يابن تميمٍ تَبيَنَ أين تاه بك الوعيدُ[2]

فالتبين أبلغ وأشد من التثبت ؛ لأن المتثبت قد لا يتبين ، قال الراغب : لأنه – أى التبين – قلما يكون إلا بعد تثبت ، وقد قوبل التبين بالعجلة فى قوله – صلى الله عليه وسلم – "التبين من الله ، والعجلة من الشيطان"[3] .

ونلاحظ الأمور التالية :

---

[1] الدر المصون للسمين الحلبى (٤ / ٧٣) . الكشف عن وجوه القراءات مكي بن أبى طالب (١ / ٣٩٤) .
[2] الحجة للقراء السبعة لأبى علي الفارسي (٣ / ١٧٥) .
[3] شرح الهداية لأبى العباس أحمد بن عمار المهدوى ، تحقيق حازم حيدر (١ / ٢٥٥) ، أبو يعلى فى مسنده (٤ / ٢٧٨) . البيهقى فى السنن الكبرى (١٠ / ١٠٤) . الألبانى فى السلسلة الصحيحة (٤ / ٤٠٤) .

(١) هذا التنوع فى قراءة (فتبينوا) تكرر فى جميع مواضع ورودها فى القرآن ، ومجموعها ثلاثة مواضع وهى : الأول والثانى فى النساء (يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم فى سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى إليكم السلام لست مؤمناً تبتغون عرض الحياة الدنيا فعند الله مغانم كثيرة كذلك كنتم من قبل فمن الله عليكم فتبينوا ..) النساء ٩٤

والثالث فى الحجرات (يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) [الحجرات : ٦]

(٢) أن فى مجىء القراءة بـ (فتثبتوا) بالثاء - مع أن قراءة (فتبينوا) مستلزمة لها فى المعنى ويمكن أن تغنى عنها تأكيدًا على التأنى فى الأمور وعدم العجلة فيها ، خاصةً ما وردت فيه الآيتان وهو حال ملاقاة من يلقى السلام علينا ولا نعرف عنه شيئاً فيما إذا ضربنا فى سبيل الله ، وحال الفاسق ينقل إلينا خبرًا ، فلا نتعجل بالحكم ونتأنى فيهما مع السعى لطلب البيان[١] وهذا حق (فإن التأنى من الرحمن والعجلة من الشيطان) ومقابلة العجلة بالتبين دلالة على تقارب اللفظين ، وهذا فيه تأكيد على أن طريق التبين والوصول إلى الحقيقة هو التأنى والتثبت كما قيل: (إذا تأنيت أصبت أو كدت تصيب ، و إذا استعجلت أخطأت أو كدت تخطىء) [٢].

وإذا نظرنا إلى هذه الآية الكريمة فإن الله سبحانه وتعالى يقول :(يا أيها الذين آمنوا إذا ضربتم فى سبيل الله فتبينوا ولا تقولوا لمن ألقى إليكم

---

[١] القراءات وأثرها فى التفسير والأحكام (٦٦/١) .

[٢] رُوى مرفوعا ولا يصح ،انظر : البيهقى فى السنن الكبرى (١٠٤/١٠) ، وضعفه الألبانى فى ضعيف الجامع (١٦١/١) .

السلام لست مؤمناً) نجد أنها جاءت بعد الحديث عن القتل وأحكامه خطأ كان أم عمداً ، وقبل هذه الآية كان الحديث عن أقوام من المنافقين الذين تقلبت أحوالهم في ولائهم ، وكان الأمر صريحاً بقتال بعضهم كما تبين الآيات فيقول تعالى : (فإن تولوا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم..) [النساء: ٨٩] ويقول : (فإن لم يعتزلوكم ويلقوا إليكم السلم ويكفوا أيديهم فخذوهم واقتلوهم حيث ثقفتموهم ..) [النساء : ٩١].

فهذه الأحكام تستدعي من المسلمين في ضربهم في الأرض - سفراً أو جهادًا - أن يتأكدوا من أحوال من يلقونهم ، فلا يتعجلوا بقتل من يظهر الإسلام ، ابتغاء غنيمة يطمعون بها ، فقد حقن هؤلاء دماءهم بمقولتهم تلك، وهي السلام أوالسّلَم كما في القراءة الأخرى[1] فيُذَكِرُهم الله بأنهم كانو كذلك قبل إسلامهم فحقن الله دماءهم لكلمة الشهادة ، أو أنهم كانوا يخفون إيمانهم عن قومهم حتى أعز الله دينه ، ثم أعاد الله الأمر بالتبين تأكيداً لأهميته ، ثم تأتي الفاصلة المشعرة بالرقابة الإلهية والعلم بالأعمال وبواعثها ، فلا تخفى عليه خافية .

ولعل سبب النزول يوضح معنى الآية أكثر ، فقد روى الشيخان عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : " لحق ناس من المسلمين رجلاً معه غُنَيْمَة ، فقال : السلام عليكم ، فقتلوه وأخذوا غُنَيْمَته ، فنزلت الآية[2] ووردت

---

[1] قرأ نافع وابن عامر وحمزة وأبو جعفر وخلف (السّلم) ، وقرأ الباقون (السلام) ، انظر النشر (٢٥١/٢) فالسلم من الاستسلام والانقياد ، أما السلام فهو تحية الإسلام ، انظر حجة القراءات (٢٠٩/١) ، وقيل هما بمعنى الإسلام ، انظر فتح القدير (٥٩٢/١) وقد استوفينا القول عنها في مبحث اختلاف صيغ الأسماء، في الفصل الثاني .

[2] صحيح البخاري ، حديث رقم : (٤٥٩١)، وصحيح مسلم ، حديث رقم :(٣٠٢٥). روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني للألوسي (١١٩/٥، ١٢٠) . معالم التنزيل للإمام البغوي ، تحقيق محمد النمر ، عثمان جمعة ، سليمان عرش (٢٦٨/٢، ٢٦٩) .

روايات أخرى كلها تدل على المعنى نفسه ، مع اختلاف فى تحديد الأشخاص والأقوام الذين سلّموا .

ولابد هنا من أن نبحث عن أصل المعنى اللغوى لكل من الكلمتين ، ثم ننظر فى سياق الآيات ، فالتبين مشتق من بَيَن أو بان ، وهو بمعنى الظهور بعد الاستتار . أما التثبت : فمن الإثبات والتثبيت ، فتارة يكون بالفعل ، كما يقال لما يخرج من العدم إلى الوجود : أثبت الله كذا ، وتارة لما يثبت بالحكم ، فيقال : أثبت الحاكم على فلان كذا وثبته ، وتارة لما يكون بالقول ، سواء كان صدقًا أو كذبًا ، فيقال : أثبت التوحيد وصدق النبوة ، وفلان أثبت مع الله إلها أخر[1] ، ولعل الأقرب إلى سياق الآية أنه من تأكيد الخبر بالسماع ، فالمطلوب من المسلم التأكد ، فإن كان بدلالات مشاهدة فهذا هو التبين ، أما إذ كان عن طريق الخبر فهو التثبت[2] .

فمن خلال سبب النزول ، والسياق القرآنى للآيات ، ومعنى الآية ، والمعنى اللغوى للكلمتين ، ندرك أهمية مسألة التأكد ، حتى لا تقتل نفس ظلمًا ، فلابد من التبين أو التثبت ، فالتبين بما يظهره من علامات مساعدة نتأكد من خلالها صدقه ، والتثبت بما نحصل عليه من أخبار نتأكد من خلالها أصادق هو أم كاذب ؟

وحاصل القراءتين هو التأكيد على التروى والتأمل .

---

(1) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفاني أبي القاسم الحسين بن محمد ، تحقيق محمد سيد كيلاني دار المعرفة - بيروت (٦٧،٧٨).

(2) ولهذا يقال في علم مصطلح الحديث عن الثقة (وهو العدل الضابط) : ثبت ، وهذا في مجال الأخبار انظر : مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية مجلس النشر العلمي جامعة الكويت العدد الثالث والخمسون ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م (٩٨-١٠٠) .

خاتـــــمة

القراءات القرآنية مادة غنية بالدراسات اللغوية ، ووجوه القراءات المختلفة تؤثر في التفسير اللغوي . وهكذا تتضح معالم روعة القرآن الكريم في جانب اختلاف القراءات القرآنية في الكلمات التي احتملت أوجهًا متعددة للقراءات ، وبيّنا الوجوه اللائقة بها والتي تخدم بشكل رئيس الغرض الذي من أجله نزلت الآيات ، وسياق الآية في السورة أو في مجموعة الآيات ، ولايمكننا إلا أن نقف مبهورين أمام إعجاز هذا القرآن من جهة ، وأمام ما بذله الصحابة الكرام من جهد واضح مميز في كتابة الكلمة القرآنية ، مما يقبل الوجوه المتنوعة في قراءتها مما هو ثابت عن رسول الله ﷺ عن جبريل عليه السلام عن الله رب العالمين .

ومما سبق من الدراسة يمكننا ذكر النتائج التالية :

١- القراءات القرآنية الصحيحة السند ، والتي وافقت رسم أحد المصاحف العثمانية سواء أكانت متواترة أم بخبر الآحاد وصح سندها ، ولكن خالفت الرسم بزيادة أو نقص أو إبدال كلمة بأخرى أو نحو ذلك ؛ فهذه القراءات صالحة للاحتجاج بها في العربية ، أي في الأصوات والصرف و النحو .

٢- الاختلاف بين القراءات القرآنية اختلاف تنوع وإثراء ، لا اختلاف تضاد وتعارض .

٣- يرجع الاختلاف في هذه القراءات إلى وجوه اختلاف القراءات المتواترة فيها ، وهذه الوجوه هي التي عناها النبي ﷺ بقوله : إن هذا القرآن نزل على سبعة أحرف .

٤- القراءات القرآنية الصحيحة المتواترة التي تُقرأ اليوم ، هي جزء من الأحرف السبعة التي أنزل بها القرآن ؛ فهي دون السبعة ، وفوق الحرف الواحد .

٥- القراءات التي وُسِمت بأنها شاذة في اصطلاح القراء ؛ إنما ذلك لمخالفتها رسم المصحف ، بالرغم من أنها قد تصح في ذاتها سندًا ، وبذلك يكون المصحف حَكَمًا على القراءات لا مُنشئًا لها كما يدعي المستشرقون .

٦- الاختلافات الصوتية في القراءات القرآنية قد تؤدي إلى تغير في المعنى من قراءة لأخرى ، مع ملاحظة أن هذا الاختلاف في المعنى ليس خلاف تناقض ، وإنما خلاف تنوع في الفهم أو المعنى بما يزيد من وضوح المراد وتأكيده .

٧- أن الدراسات اللغوية الحديثة لها جذور في تراثنا اللغوي ؛ فنحن نجد كلمة مثل : ﴿ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾ [النساء : ٨٧] حروفها واحدة ، ولكن بتغير صوتي بسيط ، وهو المد يتغير المعنى .

فهرس المصادر والمراجع

١- إبراز المعانى من حرز الأمانى فى القراءات السبع للإمام الشاطبى المتوفى ٩٥٠ هـ لـ (أبو داود سليمان) بن الأشعث السجستانى الأزدى المتوفى عام (٢٧٥ هـ) تحقيق وتقديم وضبط إبراهيم عطوة عوض ، عضو هيئة التدريس بجامعة الأزهر الشريف (مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر ، محمد محمود الحلبى وشركاه - خلفاء " ط جديدة " ١٣٩٨ هـ ، ١٩٧٨ م .

٢- اتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر : المسمى منتهى الأمانى والمسرات فى علوم القراءات تأليف (العلامة الشيخ أحمد بن محمد البنا المتوفى عام ١١١٧ هـ) : تحقيق د : شعبان محمد إسماعيل ، "ط أولى" ١٤٠٧ هـ ، ١٩٨٧ م (عالم الكتب - بيروت.

٣- أثر القراءات فى الأصوات والنحو العربى دكتور عبد الصبور شاهين . الناشر مكتبة الخانجي بالقاهرة ، " ط الأولى " ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧ م .

٤- أثر القراءات القرآنية فى الفهم اللغوى (دراسة تطبيقية فى سورة البقرة) د / محمد مسعود على حسن عيسى ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع (ط الأولى) ١٤٣٠ هـ - ٢٠٠٩

٥- الأصول فى النحو لأبى بكر محمد بن سهل بن السراج (ت ٣١٦ هـ) تحقيق د / عبد الحسين الفتلى ، مؤسسة الرسالة – بيروت " ط ثانية " ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م .

٦- إعراب القراءات الشواذ (أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبرى ، المتوفى عام ٦١٦هـ) تحقيق ودراسة محمد السيد أحمد عزوز (عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع ببيروت – لبنان " ط أولى " ١٤١٧ هـ – ١٩٩٦ م .

٧- الإيضاح على متن الدرة فى القراءات الثلاث المتممة للقراءات العشر لابن الجزرى لـ (الشيخ عفيف الدين أبو التوفيق عثمان بن عمر النشر الزبيدى ، المتوفى عام ٨٤٨هـ) حققه وعلق عليه ووجه قراءاته عبد الرازق بن على بن إبراهيم موسى ، الناشر (دار الضياء – طنطا) .

٨- البحر المحيط "محمد بن يوسف الشهير بأبى حيان الأندلسى الغرناطى (المتوفى عام ٧٥٤ هـ) ، وبهامشه : تفسير النهر الماد من البحر لأبى حيان ، كتاب الدراللقيط من البحر المحيط للإمام تاج الدين الحنفى النحوى ، تلميذ أبى حيان ، المتوفى عام ٧٤٩ هـ " ط ثانية " ١٤١٣ هـ ، الناشر دار الكتاب الإسلامى القاهرة

٩- البيان فى غريب إعراب القرآن لكمال الدين أبو البركات عبد الرحمن بن أبى سعيد الأنبارى ت ٥٧٧ هـ ، تحقيق د / طه عبد الحميد طه ، مراجعة مصطفى السقا ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٤٠٠ هـ – ١٩٨٠ م .

١٠- التبيان فى إعراب القرآن لـ (أبو البقاء عبد الله بن الحسين العكبرى ، المتوفى عام ٦١٦ هـ تحقيق على محمد البجادى (دار الجيل بيروت – لبنان " ط ثانية " ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م) .

١١- حاشية الخضرى على شرح ابن عقيل على ألفية بن مالك لـ (الشيخ محمد الخضرى المتوفى عام ٨١٠ هـ) دار الفكرللطباعة والنشر والتوزيع .

١٢- الحجة فى القراءات السبع لأبي عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه (ت ٣٧٠هـ) ، تحقيق أحمد فريد المزيدي ، قدم له د/ فتحي حجازي . منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية ، بيروت " ط الأولى " ١٤٢٠هـ -١٩٩٩م .

١٣- حجة القراءات لـ (أبي زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة المتوفى عام ٤٠٣ هـ) ، حقق الكتاب وعلق على حواشيه سعيد الأفغانى مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت شارع سوريا بناية صمدى وصالى " ط أولى " فى جامعة بنغازى " ط الأولى " ١٣٩٤ هـ – ١٩٧٤ م ، "ط ثانية " ١٣٩٩ هـ – ١٩٧٩م .

١٤- الحجة للقراء السبعة لأبى على الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسى (ت ٣٧٧هـ) ، وضع حواشية وعلق عليه كامل مصطفى الهنداوى ، (ط أولى) (١٤٢ هـ – ٢٠٠١م دار الكتب العلمية بيروت – لبنان) .

١٥- الخصائص لابن جنى لأبى الفتح عثمان بن جنى (ت ٣٩٢ هـ)، تحقيق د / محمد على النجار ، المكتبة العلمية .

١٦- الدر المصون فى علوم الكتاب المكنون لشهاب الدين أبو العباس بن يوسف بن محمد بن إبراهيم المعروف بالسمين الحلبى(ت ٧٥٦ هـ) ، تحقيق وتعليق الشيخ على محمد معوض ، الشيخ عادل عبد الموجود ، د / جاد مخلوف جاد ، د/ زكريا عبد المجيد التونى قدم له د/أحمد صبرة دار الكتب العلمية بيروت - لبنان (ط أولى) ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م .

١٧- روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى لأبى الفضل شهاب الدين محمود الألوسى البغدادى (ت ١٢٧٠ هـ) ، قرأه وصححه محمد حسين العرب بإشراف هيئة البحوث والدراسات فى دار الفكر ، (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع) .

١٨- زاد المسير في علم التفسير للإمام أبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن على بن محمد الجوزي القرشي (ت ٥٩٧هـ) المكتب الإسلامي ، بيروت " ط الثالثة " ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .

١٩- السبعة لابن مجاهد لأبى بكر أحمد بن موسى(ت ٣٢٤ هـ)تحقيق د/ شوقى ضيف دار المعارف بمصر

٢٠- سر صناعة الإعراب (أبو الفتح عثمان بن جنى المتوفى عام ٣٩٢هـ) حققه وعلق عليه أحمد فريد أحمد ، قدم له د/ فتحى عبد الرحمن حجازى، المكتبة التوفيقية أمام الباب الأخضر - الحسين .

٢١- سنن البيهقى (السنن الكبرى) لأحمد بن الحسين بن على بن موسى البيهقي (ت ٤٥٨هـ) ، تحقيق محمد عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية بيروت " ط الثالثة " ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٢٢- شذور الذهب لابن هشام (أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف المتوفى عام ٧٦١ هـ)، حققه د/ محمد ياسر شرف، مكتبة لبنان - ساحة رياض الصلح - بيروت "ط أولى " ١٩٩٠م .

٢٣- شرح ابن عقيل على ألفية بن مالك (بهاء الدين عبد الله بن عقيل المصرى الهاشمى المتوفى عام ٧٦٩ هـ (مكتبة دار التراث القاهرة ، ومعه كتاب منحة الجليل بتحقيق شرح ابن عقيل لمحمد محى الدين عبد الحميد "ط العشرون" رمضان ١٤٠٠هـ - يوليو ١٩٨٠م

٢٤- شرح طيبة النشر في القراءات العشر لأبي القاسم النويرى (ت ٨٥٧هـ) ، تحقيق وتعليق عبد الفتاح السيد سليمان أبو سنة ، مراجعة لجنة إحياء التراث الإسلامي بمجمع البحوث الإسلامية بالأزهر ،الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٢٥- شرح الكافية الشافية لابن مالك العلامة جمال الدين أبي عبدالله محمد بن مالك الطائي الجياني ، حققه وقدم له د/ عبد المنعم أحمد هريدي ، دار المأمون للتراث " ط الأولى " ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

٢٦- شرح الكافية للرضى الاستراباذى لـ (رضى الدين محمد بن الحسن الاستراباذى النحوي (المتوفى عام ٦٨٦هـ) تصحيح

وتعليق د/ يوسف حسن عمر منشورات جامعة قات يونس ، بنغازي "ط الثانية" ١٩٩٦م.

٢٧- شرح كتاب التيسير للدانى في القراءات المسمى الدر النثير والعذب النمير لعبد الواحد محمد بن علي بن أبي السداد أبي محمد المالكي الشهير بالمالقي (ت ٧٠٥هـ) ، تحقيق وتعليق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود ، الشيخ علي معوض ، شارك في تحقيقه د/ أحمد عيسى المعصراوي ، منشورات محمد علي بيضون ، دار الكتب العلمية ، بيروت " ط الأولى " ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

٢٨- شرح الهداية للإمام أبى العباس أحمد بن عمار المهدوى (ت ٤٤٠هـ) ، تحقيق ودراسة د/ حازم سعيد حيدر مكتبة الرشد ، الرياض ١٤١٥هـ .

٢٩- الصحاح للجوهرى (إسماعيل بن حماد الجوهرى المتوفى عام ٣٩٣هـ) ، تحقيق أحمد عبد الغفورعطار (دار العلم للملايين بيروت - لبنان "ط أولى" القاهرة ١٣٧٦هـ - ١٩٥٦م ، "ط ثانية" بيروت ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م "٢ط ثالثة" ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م .

٣٠- طلائع البشر فى توجيه القراءات العشر للشيخ محمد الصادق قمحاوي ، دار العقيدة ، جمهورية مصر العربية " ط الأولى " ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م .

٣١- القراءات وأثرها في التفسير والأحكام لمحمد بن عمر بن سالم بازمول ، دار الهجرة للنشر والتوزيع ، الرياض " ط الأولى " ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م .

٣٢- قطر الندى وبل الصدى لابن هشام (أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف المتوفى عام ٧٦١هـ)ومعه كتاب سبيل الهدى بتحقيق شرح قطر الندى لمحمد محى الدين عبد الحميد (منشورات المكتبة العصرية جيدا – بيروت ١٩٨٤م) .

٣٣- الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها لـ(أبي محمد مكى بن أبى طالب القيسى المتوفى عام ٤٣٧هـ) ، تحقيق د / محى الدين رمضان (مطبوعات مجامع اللغة العربية بدمشق) .

٣٤- لسان العرب لـ (أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الأفريقى المصرى المتوفى عام ٧١١هـ) دار صادر بيروت ، لبنان) ، (دار الفكر للطباعة والتوزيع) "ط أولى" ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م " ط ثانية ١٤١٢هـ ١٩٩٢م "ط ثالثة ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م) ط رابعة ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م ط سادسة ١٤١٧هـ ١٩٩٧م) .

٣٥- مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية ، مجلس النشر العلمي ، جامعة الكويت، العدد التاسع والأربعين ، والثالث والخمسين .

٣٦- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لأبى محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي(ت ٥٤٦ هـ) تحقيق المجلس العلمى بفاس ، مطبوع إحياء مكتبة الإسكندرية ، وكذا نفس الكتاب بتحقيق عبد السلام عبد الشافى ، بيروت .

٣٧- معالم التنزيل ، تفسير الإمام البغوى أبو محمد الحسين بن مسعود البغوى الشافعى (ت ت ٥١٦هـ) ، دار الكتب العلمية ، ببيروت " ط أولى " ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م .

٣٨- معانى القرآن لأبي زكريا يحي بن زياد الفراء (ت ٢٠٧ هـ) ، عالم الكتب ، بيروت "ط الثالثة " ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

٣٩- معانى القراءات لأبى منصور الأزهرى محمد بن أحمد الأزهرى (ت ٣٧٠هـ) ، حققه وعلق عليه الشيخ أحمد المزيدى ، قدم له وقرظه د/ فتحى حجازى - منشورات محمد على بيضون دار الكتب العلمية بيروت - لبنان " ط أولى" ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م

٤٠- معجم القراءات د / عبد اللطيف الخطيب ، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع (ط أولى) ٤٢٢هـ ٢٠٠٢٠م .

٤١- المفردات فى غريب القرآن لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (المتوفى حوالي ٤٥٠ هـ) ، مكتبة نزار مصطفى الباز .

٤٢- المنصف لابن جنى (أبي الفتح عثمان بن جنى ،ت ٣٩٢هـ) تحقيق إبراهيم مصطفى عبد الله أمين وزارة المعارف إدارة إحياء التراث القديم "ط أولى" ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤هـ.

٤٣- الموضح لابن أبى مريم نصر بن على بن محمد المعروف بابن أبى مريم(ت ٥٦٥هـ) تحقيق د . عمر حمدان الكبيسى " ط أولى

١٤١٤هـ - ١٩٩٣م جامعة الأزهر كلية القرآن الكريم للقراءات وعلومها .

٤٤- النشر لابن الجزرى "شمس الدين أبو الخير محمد بن الجزرى المتوفى عام ٨٣٣هـ) قدم له صاحب الفضيلة الشيخ على محمد الضباع شيخ عموم المقارئ بالديار المصرية ، خرج آياتة الشيخ زكريا عميرات ، منشورات محمد على بيضون ، دار الكتب العلمية ببيروت لبنان (ط أولى) ١٤١٨هـ - ١٩٩٨ م .